الأبعاد اللغوية في قصيدة "سَكَتُّ وقُلْتُ" لـ "محمد البشير الإبراهيمي"

The Linguistic Dimensions Al-Bashir Al-Ibrahimi's Poem «*Sakete wa Kolte*»

د. صفية بن زينة

جامعة حسيبة بن بوعلي – الشلف (الجزائر)

Safou_nour@hotmail.com

تاريخ الإرسال: 2020/08/13 **تاريخ القبول: 2020/09/19**

ملخص:

تهدف الدراسة إلى إبراز بعض النماذج التي استخدمت فيها اللغة العربية، وبيان أثرها عند الإبراهيمي، وأهميتها في شحذ الهمم، ومدّ العزائم في نفوس الجزائريين، هذا الرجل الذي حيّر الكثيرين في العديد من المحافل بالكلمة الراقية ذات الأخيلة البديعية، والأساليب الرفيعة، والألفاظ المتناسقة الدقيقة، رائد الصنعة اللفظية؛ لذلك ارتأيت أن يكون المقال معنونا بـ "**الأبعاد اللغوية في قصيدة "سكتّ وقلت" لـ "محمد البشير الإبراهيمي**"؛ لمناقشة الإشكالية التالية: إلى أيّ مدى أثرت النبرة الخطابية الإبراهيمية في نفوس الجزائريين؟ وكيف تمكن العلاّمة محمد البشير الإبراهيمي من الدفاع عن مبادئ الجمعية بلسانه وقوة بيانه؟.

الكلمات المفتاحية: محمد البشير الإبراهيمي، البعد اللغوي، اللغة العربية، النبرة الخطابية الإبراهيمية.

Abstract:

The study aims to show certain linguistic models that Bachir El-Ibrahimi used in Arabic language. Such selective linguistic models were of great craft , coherence and accuracy and left an important effect on Algerians' emotions by forging their will. The poem " *Saket wa Kolete*" was selected for study to answer the following problematic : to what extent did El Ibrahimi' discourse tone influence Algerian's emotions and how did he succeed in defending *Djamiet El Oulema'*s principles through distinguished and accurate language.

***keywords*:** the linguistic dimension, Arabic language, El Ibrahimi rhetorical tone.

مقدمة:

يعدّ العلامة محمد البشير الإبراهيمي ملك اللغة العربية والبيان؛ هذا البليغ الفصيح الذي تتجلى للمتصفح لأعماله مدى حذقه ومرانه في ميدانه بعباراته العميقة وألفاظه الدقيقة المعاني، وكلامه اللطيف بالسجع، هذه الشخصية المتأصلة في هُويتها، المتجذرة في بيئتها، المدركة لما تقوم به، التواقة للحرية، متمكن من استعماله للغة العربية بامتياز. حيث يتعقبها تعقبا فيدقق حسن اختياره للكلمات ويميل إلى التمثيل والتوسيع في إيراد المعنى، فهو بحق يعد صاحب البيان فقد ملك اللغة وأصبح حافظا وأديبا ولغويا متفردا، وفي هذا الصدد قال عنه أبو القاسم سعد الله "... مليئة بقوة البيان وبلاغة الأسلوب، وهو أمر قامت عليه شهرة الشيخ الإبراهيمي أيضا كحافظ وأديب ولغوي"[(1)]، فهو خطيب مفوه لا يشق له غبار، فنجده ينسج الألفاظ على قدر المعاني عملا بمقولة القدماء بأن الكلام البليغ ما كان لفظه فحلا ومعناه بكرا. "فأراه يغوص في درر اللغة وفي عمق الألفاظ، فيعود حاملا سجعها، وينحت العناوين ويولي شطرها الحروف لتتكامل في أمواج اللغة، وتتعاضد انحلالا وارتحالا ونضالا واقتتالا، فكلماته كبريت محترق إذا أومض اشتعل، وهي حروف تجر الفعل الماضي بحكم الحب الذي أعطاه للعربية، فكانت إضافاته لطيفة في اشتياقها ومذاقها وانعتاقها وطباقها وعناقها وتلاقيها وسياقها"[(2)].

ومن أجل بيان هذه الخصائص التي تميّزت بها، كتابات البشير الإبراهيمي، انطلقت في دراستها من الإشكالية الآتية: ما الأبعاد اللغوية التي تضمنتها قصيدة "سكتُّ وقلتُ"؟.

أمّا عن المنهج الذي اعتمدته في دراستي فهو المنهج الوصفي؛ القائم على التحليل والاستقراء من أجل رصد الأبعاد اللغوية المتنوعة في القصيدة (التشكيل اللغوي للقصيدة رمزية العنوان، توظيف الصور البيانية والمحسنات البديعية، جمالية النص الشعري، الظواهر الصوتية...).

- **العلاّمة محمد البشير الإبراهيمي واللغة العربية:**

أوتي العلامة محمد البشير الإبراهيمي ملكة لغوية رهيبة، آمن بما تحويه العربية من أسرار وإعجاز وإيجاز، فاللّغة تصلح الأمة وأنّ الأمة بلا لغة ما صنعت يوما أدبا، ويعد من الأعضاء البارزين لجمعية العلماء المسلمين التي جندت وسائل عديدة منها: المعلم والمدرسة والصحيفة والخطاب والنوادي والمساجد، وكل من كانت تتوسم فيه الإخلاص للدين واللغة والوطن وذلك بغية تحقيق غايتين شريفتين هما: إحياء مجد الدين الإسلامي، ولغته العربية: وهو ما يتضح في قول البشير الإبراهيمي إن جمعيتكم هذه أُسست لغايتين شريفتين، لهما في قلب كل عربي مسلم بهذا الوطن مكانة لا تساويهما مكانة، وهما إحياء مجد الدين الإسلامي، وإحياء مجد اللغة العربية بالاهتمام بها والعمل على إحيائها باعتبارها أداة فهم الإسلام. فقد اتخذ من اللغة سلاحا؛ ليدافع عن الوطن والإسلام، نصر اللّغة فنصره الله بحفظها والإلمام بمعانيها كونها لغة الدين وهوية المجتمع.

هذا الخطيب المفوه باللفظ الجميل والمعنى الجليل، سعى جاهدا بخطبه وحتى بشعره وحركته الإصلاحية إلى توحيد صفوف الشّعب الجزائري رافق النّهضة الجزائرية في جميع مراحلها وعلى اختلاف أطوارها، وتنوع نواحيها من خلال الأثر الكبير الذي شكلته المقاطع الشعرية التي نظمها في حق الأمة الجزائرية إبان الثورة.

ولقد "وُهب الشيخ سجايا خطابية: لسان فصيح وشجاعة أدبية وزاد ديني كبير ومحفوظ وفير، فانماز عن أقرانه بحمل بلاغي مميز، وبصراحة نقدية، كما نقرأ عن لغته بأنه يراعي المستويات، من حال، ومقام ومتحدث إليه، فيجمع بين اللفظ الغريب المقعوس، واللفظ المأنوس، في خرجة أسلوبية يصبح الغريب مأنوسا، والمأنوس مطلوبا، فهو بلغ القمة، ولم يُبالغ في تقعر اللغة ... وتنزل منه البلاغة نزولا لا إنزالا، وتحس كأنه يدفعها عنه، وهي تندفع إليه، فيقع التكامل في البنى ويتلاقى المعنى في المبنى"[3].

ويقول عنه عبد الملك مرتاض: إنه أكبر أديب عرفته الجزائر طوال القرن العشرين...إلى أن يصفه بالعملاق[4] ويقول في مقام آخر: "إنه أمير البيان، ومفخرة الجزائر عبر الزمان"[5].

وهو (البشير الإبراهيمي) الذي يقول: "اللغة العربية في القطر الجزائري ليست غريبة، بل هي في دارها، وبين حماتها وأنصارها، وهي ممتدة الجذور مع الماضي، مشتدة الأواصر مع الحاضر، طويلة الأفنان في المستقبل"[6]. ويقول شعرا في هذا المقام:

نغار عن أحسابنا أن تُمتَهن والحر عن مجد الجدود مُؤتمن

ولغة العرب لسان ممتحن إن لم يذد أبناؤه عنه، فمن؟[7]

- **الدّراسة التطبيقية:**

قال العلامة محمد البشير الإبراهيمي –رحمه الله–:

سكت فقالوا: هدنة من مسالم وقلت فقالوا: ثورة من محارب

وبين اختلاف النطق والسكْت للنُّهى مجال ظنون واشتباه مسارب

وما أنا إلا البحر يلقاك ساكنا ويلقاك جيّاشا مهولَ الغوارب

وما في سكون البحر منجاة راسب ولا في ارتجاج البحر عصمت سارب

ولي قلم آليت ألا أمده بفتل موار أو بختل موارب

جرى سابقا في الحق ضمآن عائفا لأمواهَ دنياه الثّرار الزغارب

يسدده عقل رسا فوق ربوة من العمر رواها معين التجارب

إذا ما اليراع الحر صر صريره نجا الباطل الهاري بمهجة هارب

ومن سيئات(...) أحلاف فتنة وجودهمو إحدى الرزايا الكوارب

ومن قلمي انهلّت سحائب نقمة عليهم بودق من سمام العقارب

فيا نفس لا يقعد بك العجز وانهضي بنصرة إخوان، وغوث أقارب

حرام قعود الحر عن ذود معتد رمى كل ذود في البلاد بخارب

وبَسْل سكوت الحر عن عسف ظالم رمى كل جنب للعباد بضارب

بسمّن ذئب السوء قومي سفاهة بما جب منهم من سنام وغارب

وما كان جند الله أضعف ناصرا ولا سيفه الماضي كليل المضارب

ومن جنده ما حط أسوار (مارد) وما صنع الفار المهين بمارب

ومن جنـــده الأخلاق تسمو بأمة إلى أفـق السعد للسماك مقارب
وتنحط في قـــوم فيهوون مثـل مـا ترى العين مهوى النجوم الغوارب
ينال العلا شعب يقاد على العلى بنشـــوان مـــن نهـر المجـرة شارب
رعى الله من عرب المشارقة أخـوة تنـــادوا فدوى صوتهم في المغارب
توافوا على داع من الحـق مُسمـع ووفـــوا بنـــذر في ذمام الأعارب
همـوا رأس مالي لا نضـــار وفضـة وهـم ربـح أعمـــالي ونُجح مآربي
وهـم موردي الأصفى المروي لغلتي إذا ما كـــدرت أم الخيار مشاربي

نشرت في العدد 150 من جريدة «البصائر»، 9 أفريل سنة 1951.

– الزغارب: جمع زغرب: وهو الماء الكثير المستبحر.

– بسل: حرام.

- **مناسبة نظم القصيدة:**

لمّا عاث المستدمر الفرنسي في أرض الجزائر فسادا، واشتدت سطوة طغيانه على الشعب الجزائري، هرع أبناء الوطن لمجابهة سيله الهادم لكلّ مقومات الأمة الجزائرية بكلّ ما أوتوا من قوة، وقد تعددت سبل الجهاد لديه، إذ اتخذت جمعية العلماء المسلمين سبيل الكلمة؛ لتعبئة الشعب الجزائري، وإذكاء روح الثورة لديه؛ من أجل هدف واحد وهو استرجاع ما سلب منه، ماديا كان أم روحيا، تحت راية الإسلام، يقول الشيخ العربي التبسي – رحمه الله – "إنّ الإسلام ثورة تحتاج سيولها العارمة كلّ من يأخذ على البشرية طريقها إلى التحرر الوجداني، الذي هو من أقدس حقوق الإنسان يجاهد في سبيلها بكلّ أسلوب من أساليب الجهاد"[8].

وكانت كتابات الشيخ البشير الإبراهيمي، نثرا أو نظما أحدّ من السيف في نظر المستعمر الغاشم؛ لا لشيء إلاّ لأنّها تخاطب الروح قبل العقل، وذلك ما لم تستطع فرنسا كبح لجامه؛ لنفاذه السريع في قلوب الجزائريين،وهذه القصيدة أعني "**سكتُّ وقلتُ**"، تعكس مدى الحرص الذي كانت الجمعية تبذله في سبيل المحافظة على مقومات الشعب الجزائري

إبان الفترة الاستعمارية، والتي أراد المستعمر أن يُحلّ محلها كلّ صور الاستغراب الذي يفقد الشعب الجزائري هويته. أو بالأحرى المساندة المطلقة للثورة الجزائرية قلبا وروحا وقلما.

- **التشكيل اللغوي للقصيدة:**

نحاول في قراءتنا للنص الشعري المعنون بـ "سكت وقلت" أن نمتلك في توجهنا إليه وسيلة للغوص في مكنوناته ودهاليزه وعتمته، ولملامسة مستوياته وطبقاته الدلالية، وفي قراءتنا هدف، وهو تفكيك الدال واستنطاق دلالاته وعلاقاته الشبكية، ويتمّ بذلك التفاعل بين النص والقارئ من خلال إنتاج جديد يؤكّد شعريته. "وللغة الشعر سحر يحاكي سحر شياطين الشعر، تفعل فينا ما لا تفعله اللغة حين تكون تواصلا محضا أو حين تكون الكلمات مفردة لها دلالات معجمية محددة؛ لأنّ اللغة هوية مجردة وإن الاستعمالات هي التي تشكل الحقيقة اللسانية الوحيدة والواقعية"[9]. وعليه فإن تحليل القصيدة الشعرية يستدعي إمكانات خاصة في سبر أغوار النص، لأن تكثيف اللغة أو الإيقاع، أو الصور البيانية من خصوصيات الشعر، مع مراعاة خاصية الانسجام، ومن تلك العناصر: طبيعة النص، وبنائه الفكري، وبنائه الفني، والأسلوب المعتمد في الأداء، والقيم البيانية والصوتية الموظفة ووظيفة كل عنصر منها، ودرجة فعالية الأدوات لتحقيق الأثر المرتجى من جماليات النص.

وإذا كانت الألفاظ علامات فإنّ القارئ ينفذ إلى الخطاب الشعري عبر مناطقه الرخوة التي تشكّل هذه الكلمات، فالعلامة اللغوية وحدة أساسية في بنية الخطاب، ولذلك فإنّ المقاربات النقدية المعاصرة ترتكن في فضّ دلالة النصوص والوصول إلى بنيتها التحتية، لمسّ المعاني التي يمكن أن تقود إليها وكيف وظّفها الشاعر في النص، وبذلك الوقوف على مواطن الجمال في التعبير. "فاللفظ جسم، روحه المعنى وارتباطه به كارتباط الروح بالجسم يضعف بضعه، ويقوى بقوّته، فإذا سلم المعنى واختل بعض اللفظ كان نقصا للشعر، وهجنة عليه، كما يعرض لبعض الأجسام ممن العرج (...) وكذلك أن ضعف المعنى واختل بعضه كان للفظ من ذلك أوفر حظٍ، كالذي تعرض للأجسام من المرض بمرض الأرواح"[10].

ويقوم الشعر باستعمال الكلمات في نسق خاص يعيد بناء اللغة على نحو نستطيع من خلاله أن نترجم الكلمات إلى إيحاءات ودلالات تثير الانفعال وتضيء السبل وتكبح جموح الآلام؛ لأنّ" الكلمات في النّص الشعري غيرها في أي نص آخر تتجاوز حدودها المعجمية المألوفة، فلا تكون مجرد أصوات تعبر عن مسميات أو تحاكي أشياء، بل إنها تغدو جزءا من الكلمات نفسها تفجر تعريفاتها و حدودها النغمية و البنائية و دلالاتها العميقة بما يكشف عن إمكانيات في الكلمة غير متوقعة وحقائق مجهولة داخل اللغة"[11].

استند النص الشعري (**سكت وقلت**) إلى دوالٍ مولِّدة لمدلولات جديدة تحقّق المغايرة في سياقات منسجمة تسهم الأنماط البلاغية في تحقيق قدرتها على التأثير وتحويل الحقائق عبر التعبير الشعري إلى صور، "ومع ذلك يمكن القول إن البناء الصرفي يوجه المتلقي إلى تفهم النشاط اللغوي في اعتبارات بعيدة وراء الصفات الموضوعية أو الدلالات الموجهة ويعمل في إدراك مواقع المكونات الصرفية على الوجدان، والموقع متميز تماما من طبيعة المكونات الصرفية في ذاتها و إن يكن يتصل بها"[12].

- **قيمة العنوان في النص الشعري:**

يضيء عنوان القصيدة جانبا مهما من بنائها ، ولما كان الأصل في العنوان هو "منح النص اسمه وهويته ومظهرا قصدية المؤلف وخلق أفق التوقع عند المتلقي"[13]. فإن عنوان (سكت وقلت) يعد نقطة مركزية، تحيل على هوية النّص الناص، لتمنحه دلالة توحي بمدى تريث الشاعر البشير الإبراهيمي وتعقله قبل القول؛ فهي مرحلة التركيز ملخصة في عملية السّكوت لتليها مرحلة القول أو التلفظ فيجعل القارئ يتمتع من خلال الغوص في دراسة النص محاولا الوقوف عند أهمية استنطاقه، ومعرفة مجموعة الشفرات والإشارات والعلامات اللّغوية التي تشكّل بنيته تشكيلاً جديداً ومن خلال سياق يشحن الألفاظ بعدد من الدلالات السياقية التي يتفرّد بها النص الشّعري، وهي التي تشكّل حقوله الدلالية التي تُعدّ البنى الصغرى لبنية النص الكبرى. "فكانت العرب إنما تحلي ألفاظها تدبجها وتشيها، وتزخرفها، عناية بالمعاني التي وراءها، وتوصّلا بها إلى إدراك مطالبها ... ذلك أن الألفاظ

خدم للمعاني، والمخدوم – لاشك – أشرف من الخادم"[14]. كما أنّ النص هو إبداع ونظم شعري، ليس ببعيد عن (الشعرية) التي هي عاطفية تخييلية بطبيعتها. ولما كانت كذلك، فإننا سنبحث عن عمق الدّلالة، في النّص، وتطورات ملفوظه ومعناه "لأن لغة الشّعر خاصة محملة بقصدية دائما، والمقصود ليس أن تقول هذه اللّغة الأشياء فحسب ولكن لكي تنتج كل كلمة داخل النّص الشعري انطباعا جماليا وشعريا جذابا وفاعلا"[15].

- **التّشكيل الجمالي للنص الشعري:**

تعد مقاربة التشكيل الجمالي للنّص الشعري الموسوم بـ (سكت وقلت) لما تكتنزه من خصوصيات فنية للغة والأسلوب، فقد تميزت كتابة البشير الإبراهيمي بالصور البيانية والبديعية، والظواهر الصّوتية كالتوازي، والتكرار، وكل ما من شأنه إحداث التأثيرات الجمالية، فالبشير الإبراهيمي وظّف أساليب ممتعة ومفيدة لتأدية المعنى العميق، ورفع القيمة الجمالية، كما تلعب اللغة دور المترجم للجمال في النص الأدبي ، لما تقوم به من وظائف والتي حددها منذر عياشي في ست:

الوظيفة الأولى: وتتجلى في أنها تعطي للأشياء أسماءها و دلالاتها.

الوظيفة الثانية: وتتجلى في رسم موقف المتكلم من الأشياء التي يتكلم عنها ...

الوظيفة الثالثة: وتتجلى في قدرة اللغة على خلق الأشياء التي لم تكن ...

الوظيفة الرابعة: وتتجلى في إعطاء الأشياء معانيها ومعاني إضافية إلى معانيها ...

الوظيفة الخامسة: وتتجلى في قدرة اللغة على إعطاء المعاني معاني ليست من مسميات أشيائها.

الوظيفة السادسة: تتجلى في رسم موقف إنساني يدخل في دائرة معرفة الإنسان بنفسه ولكن اللغة تجعله خلقا آخر ليخبر به عن مكنونه في صورة جمالية"[16] لأنّ اللغة بتضافرها مع عناصر النص الأدبي تشكل إدراك القارئ وترشده إلى مواطن الجمال فيه.

– **التضاد:** يعد التضاد نوعا من الأساليب الفنية المحققة للمفارقة، وقد تميز أسلوب البشير الإبراهيمي باعتماد صيغ التضاد كما تتجلى في قوله: (**سكت/ قلت**) (**مسالم / محارب**) (**النطق / السكت**) (**الحق / الباطل**) (**المشارق/ المغارب**) وللطباق أثر في القصيدة وهو توضيح المعنى وتقويته. أما المقابلة، فقد تمثلت في قوله: (**هدنة مسالم / ثورة من محارب**) فهذه الصيغ القائمة على التضاد غرضها قوة البيان، والتشديد على التبيين، إذ الأمور بأضدادها تتضح فيتحقق الهدف بما تثيره من انتباه للسمع والعقل معا. ولذلك استخدم الشاعر هذه الخاصية لأن "هذه الحقيقة تؤكد أن الكلمة هي نشاط الروح وبواسطتها تتجلى الأفكار والمشاعر وتصبح بنية فاعلة"[17].

– **العبارات والجمل الفعلية:** تثبت القراءة الإحصائية هيمنة الاسم على الفعل ، كما تهيمن الأفعال المضارعة والماضية هيمنة تامة (ليس في النص الشعري أفعال أمر) وذلك ليؤكّد الشاعر أنّ التجربة يقينية، وأن مصيره حتمي، فهو واثق بحتمية التغيير، وهو يراه قادماً، "والصحيح أن البناء الصرفي (نشاط) بمعنى أوسع. فهو في هذا المنحى يعنى بالتقسيمات والارتباطات المباشرة لكي يحدد فاعليتها ونقاط قوتها، وبهذا المنحى يكون النشاط الصرفي عنصرا فعالا في خلق المعنى"[18].

نتفحص ضمن هذا المنظور أنماط التراكيب النحوية للتعبير في النص الشعري فإذا بنا أمام تشكل أولي بارز يعلنه تميز الصيغ الفعلية؛ كما وظف البشير الإبراهيمي عبارات عذبة المعاني، ونجد الشاعر قد نوع في استعماله بين صيغ فعل الماضي والفعل المضارع؛ فنجد من أمثلة **الماضي** (**سكت، قلت، قالوا، جرى، آليت، رسا، صرّ، نجا، انهلت، رمى، حطّ صنع، رعى**). ومن أمثلة المضارع (**يسدده، يلقاك، يقعد، تسمو، تنحط، ترى، ينال، يقاد**). حيث نلحظ أن صيغة المضارعة تتميز في القصيدة بسمة مخالفة للماضي فتقيم بينهما علاقة انسجام وتكامل، فهاتان السمتان النحويتان رغم اختلافهما زمنيا إلا أنهما متقاربتان دلاليا، كما يتميز التركيب النحوي بخاصيات دقيقة، لما فيه من ثراء وغموض وتعقيد وأثره في إعطاء مفهوم خاص للشعر على أنه طريقة في تأليف الكلمات وربطها وتنظيمها.

ولذلك أخذت مسألة التنظيم أهمية بالغة في جماليات النشاط التصويري وفي توضيح عمود الشعر العربي على الإجمال و"لاحظ بعض النقاد أن المعنى في الشعر لا يستطيع أن يظفر باستقلال واضح وأنه يرتبط بفكرة التنظيمات الداخلية للألفاظ المستعملة في تشكله أو تكوينه. أي أن التنظيم يعطي له غنى ومادة جديدة هذه المسألة أثارت الناقد القديم ووجهته إلى مسائل جدية تدور حول تركيب الشعر ولغته ومعناه وجعله مفتونا بفكرة الترابط المعقد أو (النظم)"[19]. هذه الفكرة التي تؤلف، وفقا له، كل خصائص العبارة الشعرية، وتستوعب كل معاني التراكيب في الشعر، ومن ثم ينبغي أن نقف عندها.

– **الصور البيانية:** وفي القصيدة صور بيانية بهدف الفصح عن المعنى المراد والدلالة عليه إذ تساهم في إدراك الحقائق، حيث تؤدي وظيفة إخراج المجرد إخراجا حسيا، كما تساهم في قوة التخييل، لأن الحس دائما أقوى في التأثير، من التجريد، ومن الصور البيانية وظفت الاستعارة كما في قوله: (**ومن قلمي انهل سحائب نقمة ... عليهم بودق من سمام العقارب**)، وفي مثال آخر: (**فيا نفس لا يقعد بك العجز وانهضي بنصرة إخوان، وغوث أقارب**). وفي قوله: (**ومن جنده الأخلاق تسمو بأمة... إلى أفق سعد للسّماك مقارب**) كما نجد التشبيه في قوله: (**وما أنا إلا البحر يلقاك ساكنا ... ويلقاك جياشا مهول المغارب**).

– **الظواهر الصوتية:** ووظيفتها استنفار القوة السمعية لإثارة الانتباه، لمغزى القول ومنها:

* **التكرار:** فقد بني أسلوب الإبراهيمي من حيث التراكيب على هذا الإيقاع الجميل الناجم عن التكرير المحبب إلى النفس كما في قوله: "**ومن جنده** ما حط أسوار مارد، **ومن جنده** الأخلاق تسمو بأمة" وكذلك التكرار في قوله: "**فقالوا**: هدنة مسالم، **فقالوا**: ثورة من محارب). "قعود **الحر** عن ذود معتد ، سكوت **الحر** عن عسف ظالم) (وما أنا إلا البحر **يلقاك** ساكنا، و**يلقاك** جيّاشا مهولَ الغوارب) (وما أنا إلا **البحر** يلقاك ساكنا، وما في سكون **البحر** منجاة).

* **الجناس:** كما في قوله: (**محارب، مسارب**) و(**سارب، هارب**) (**المضارب، المغارب**).

* **المشاكلة:** كما في قوله: (**وما في سكون البحر منجاة راسب ... ولا في ارتجاج البحر عصمت سارب**) راسب، سارب. وفي مثال آخر: (**وإذا ما اليراع الحر صرّ صريره ... نجا الباطل الهاري بمهجة هارب**) صرّ، صريره. الهاري، هارب.

وفي قوله: (**حرام قعود الحر عن ذود معتد ... رمى كل ذود في البلاد بخارب**) ذود، ذود.

ويقول: (**وتنحط في قوم فيهوون مثل ما...ترى العين مهوى النجوم الغوارب**)يهوون، مهوى.

وفي المثال التالي: (**ولي قلم آليت ألا أمده...بفتل موار أو بختل موارب**) موار، موارب.

* **التوازي:** يستخدم البشير الإبراهيمي في الإيقاع الداخلي خاصية "التوازي"حيث يكمن أثره في ما يحمله من خصائص صوتية وبلاغية قد أثرى التعبير بنغمات نفسية أخاذة وإيقاع يعطي النفس متعة فنية مؤثرة تبعث في الفؤاد السكينة والطمأنينة ويزيد النص الشعري قيمة فنية، كما نجد القافية تؤدي دورين؛ تعين نهاية المعنى، وتحدد الانسجام الصوتي، كما في قوله (**هموا رأس مالي لا نظار وفضة ... وهم ربح أعمالي ونجح مآربي**) مالي، أعمالي، مآربي.

ويتسرع من يقول إن لغة الشعر عند العلامة محمد البشير الإبراهيمي معجمية، وإن العلاقة بين الدال والمدلول تقليدية، وأن الدال في شعره لا ينتج مدلولاً جديداً بل ينتج مدلولاً مألوفاً، ولو صح ذلك لكان من الممكن القول إن شعر البشير الإبراهيمي بلا (صورة)!، لأن الصورة تركيبة لغوية قبل كل شيء، وهي تنتج من العلاقة بين الكلمات. "إن من الضّروري أن ندرس البناء الصرفي بطريقة جمالية، ومعنى ذلك أن نكون على استعداد لإلغاء الدلالات المباشرة المتعلقة بالبناء الصرفي، أو وضعها في حالة أقرب إلى الكمون والغموض، أي أن من واجبنا أن نحتفظ بفكرة المعنى المتعدّد، وثراء الاحتمالات الممكنة، فنبحث دائما عن تيارات جديدة، ونغير المعنى عندما نجد هذه التيارات"[20].

خاتمة:

تمكّن العلامة محمد البشير الإبراهيمي من خلال لغته تبليغ رسالته، ببلاغة في التعبير وحسن في التأليف وجمال في الصياغة وجودة في التصوير الفني، فقد أتقن اختيار الألفاظ التي تعبر عن مضامين كامنة في نفسه من خلال ما تحمله من قوة للمعاني، والتي بلغت مراده فكان استخدامه للمحسنات البديعية متقنا وليس من باب الزخرفة اللفظية أو التطريزية والتكلف وإنما استعملها ليجسد مدى إبداعه الفني، لذلك نجدها قد تنوعت بين الطباق والمقابلة والتي تحقق ارتباطا وثيقا بالمعنى، مما يعكس غزارة فكره وقدرته للولوج في عمق الدلالة باستخدامه لجملة من الأدوات والوسائل التي مكنته من توصيل الرسالة التي يسعى إلى تبليغها من خلال اعتماده على أسلوب لغوي ساهم في خدمة اللغة بثروة لغوية هائلة، مما يمنحه فرصة الاختيار والانتقاء بما يتناسب والمقام، فمختلف الطرائق التعبيرية والإيحائية التي وُظّفَتْ، غرضها الزيادة في قوة القول ونفاذه، من أجل أن يبلغ الهدف المنشود.

الهوامش والإحالات

(1)– أحمد طالب الإبراهيمي: آثار محمد البشر الإبراهيمي، الجزء الخامس (1954– 1964)، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1997، ص 8.

(2)– صالح بلعيد: محاضرات في التربويات والإسلاميات، منشورات مخبر الممارسات اللغوية في الجزائر 2015، ص 177.

(3)– صالح بلعيد: محاضرات في التربويات والإسلاميات، ص 182.

(4)– عبد الملك مرتاض: محمد البشير الإبراهيمي، أمير البيان كرائم اللغة فصاحة اللسان، مقال متاح على الأنترنيت بتاريخ 10/29/ 2019 على الموقع: https://binbadis.net/archives/296

(5)– عبد الملك مرتاض: محمد البشير الإبراهيمي، أمير البيان كرائم اللغة فصاحة اللسان.

(6)– محمد البشير الإبراهيمي: البصائر، د. الخطيب، جمعية العلماء المسلمين، ص 155.

(7)– جريدة البصائر، صدرت بتاريخ: 9 أفريل سنة 1951. العدد 150.

(8)– أحمد شوقي الرفاعي، مقالات في الدعوة إلى النهضة الإسلامية في الجزائر، دار الشهاب، الجزائر ط1، 1984، ج1، ص202.

(9)– بيير جيرو: الأسلوب والأسلوبية، تر: منذر عياشي، مركز الإنماء الحضاري، حلب، 1994، ص81.

(10)– ابن رشيق القيرواني: العمدة في صناعة الشعر ونقده، تحقيق: النبوي عبد الواحد شعلان، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ط1، 2000، ج1، ص200.

(11)– هادي نهر: دراسات في الأدب والنقد، ثمار التجربة، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط1، 2011 ص191.

(12)– تامر سلوم: نظرية اللغة والجمال في النقد العربي، دار الحوار، سورية ، ط1، 1983، ص 99.

(13)– جون كوهين: بناء لغة الشعر، ترجمة أحمد درويش، ضمن النظرية الشعرية، دار غريب للنشر 2000م، ص191.

(14)– ابن جني: الخصائص، تحقيق: محمد علي النجار، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط3 1988، ج1، ص 218.

(15)– بيير جيرو: الأسلوب والأسلوبية، ص191 .

(16)– منذر عياشي، الأسلوبية وتحليل الخطاب. مركز الإنماء العربي، سوريا، ط1، 2002، ص60

(17)– تشيتشيرين، د . ف : الأفكار و الأسلوب، ص 44 .

(18)– تامر سلوم: نظرية اللغة والجمال في النقد العربي، ص 98.

(19)– تامر سلوم: نظرية اللغة والجمال في النقد العربي، ص 112 .

(20)– تامر سلوم: نظرية اللغة والجمال في النقد العربي، ص 99 .